الحيوانات الداجنة الجمرة التي تفتك فتكاً ذريعاً في هذه البلاد الحارَّة . ومما يزيد هول فتكها انها تقتل عشرات من الناس كلَّ سنة وذلك في البلاد التي يُحمل اليها صوف بغداد كانكلترة واميركة مثلاً فان جراثيم هذه الذبابة تبقى في الصوف الغير المغسول فاذا اخذ العملة يشتغلون به بدون غسل تولَّدت فيهم الجمرة واذا اصابت الواحد اودى به الموت لا محالة

الَّا ان هذه الذبابة لا تتعرَّض وهي حيَّة الَّا للحيوانات ولاسيما الخيل وبعض الغنم . وهي لا تتعرَّض للانسان الَّا نادرًا وذلك لجميع من ينام في الهواء الطلق في النهار وهذا يدلُّك على ان المصاب لا يكون في مثل هذه الحالة الَّا بين الفلاحين واهالي القُرى لان هذه الذبابة لا تدخل المدن الَّا فيما ندر . وتقتل هذه الذبابة خمسة او ستة من الناس في السنة ومن الحيوانات من ١٢٠ الى ١٥٠

هذا ما اردنا تدوينهُ في هذا الموضوع وان كان لاحدٍ مزيد علم فيهِ فلا يضنَّ بهِ علينا والله يثيب المحسنين

معادن لبنان القديمة

نظر للاب هنري لامنس اليسوعي مدرس الجغرافية الشرقيَّة في المكتب الشرقي

لقد انجزنا الكلام عن غنى لبنان المعدني والحقُّ اولى ان يُقال ليس لبنان من هذا الوجه ذا ثروة طائلة وغنىً وافر . فلوازم البناء متوفرة فيهِ إلَّا انها ليست من اعلى درجة في الجودة . ومعادن الحديد كثيرة الانتشار في الجبل الَّا انها قليلة الفائدة لعدم وجود الوقود لتشغيل المسابك والمعامل . واخر الامر ففي لبنان شيء من الفحم الحشبي المتحجر . فاذا شئنا ان نعرف ما لهذا الوقود من الشأن والاعتبار في نفس مركزهِ يكفي ان نردّد في ذهننا ان اصحاب المعامل الحريريَّة المجاورة لمستودعاتهِ عدلت عنهُ تباعاً الى الفحم الاجنبي . فالحالة هذه ليس لاهل لبنان ان يبنوا الآمال على استحضار المعادن ولا يُمنُّوا النفس بتحسين مستقبل البلاد بسببها

لكن هنا بحثاً آخر تُرى هل كانت هذه الحال حال لبنان القديمة ؟ ألم يتفق للبنان ما اتَّفق لاراضٍ كثيرة كانت مخصبة غنيَّة فقرغت على توالي الاجيال واصبحت

عتيمة؟ أولم تنزع من اعماق لبنان كنوزهُ المدنيَّة القديمة؟ فلهذا السؤال محل ومجال لانَّ ارباب البحث والاقتصاديين منذ الان قد وجدوا بعد الحساب ان اغنى مناجم الفحم الحجري في اوروبة لا بدَّ ان تنفد يوماً ولا يمرُّ على بعضها جيلان او ثلاثة حتى تكون قد نفدت فلِمَ لا يصح ذلك في لبنان وقد ظهرت فيهِ آثار العمران وحركة الاشغال من نحو ٤٠٠٠ سنة والادلَّة على ذلك صحيحة راهنة فهذه المدَّة الطويلة تكفي كل الكفاءة لتعليل ما حدث في حال معادنها من التغيير والانقلاب

ومما يزيد في ارجحيَّة هذا الراي كون لبنان قسماً من فينيقية والحال ان بلاد فينيقية كانت من اقدم الازمان كنقطة للاشغال المعدنيَّة ومحور للاعمال الصناعيَّة (١ فقد وجدوا الوفاً من آثار هذه الصناعة القديمة وضروبها المتنوعة كآنية فضة ونحاس وقلز وحلي من كل الاصناف واشكال الاسلحة وادوات زجاجيَّة وغيرها . فهذه التُحف مَلأت المتاحف التي غصَّت بها وضاقت عن ان تسعها ومع ذلك لم تُصرَف العناية الى جمعها ووضعها في المتاحف إلَّا من نحو نصف قرن وكم من تحف غيرها بادت او لم تزل مدفونةً في بطون المدن الفينيقية وهي تتوقَّع يوماً من الدهر لتظهر للعيان

على انَّ هذه الحال من نموّ الصنائع وانتشار الاشغال المعدنية لم تكن خاصَّة بعهد الفينيقيين بل بقيت بعدهم اجيالاً عديدة واستمرَّت الى اواخر الاعصر المتوسطة . ولم تبطل هذه الاشغال في المدن الممتدَّة على طول الشواطئ البحريَّة من عكا الى اللاذقية فكانت العمَّال من نحو خمسة او ستة اجيال منكبَّة على العمل وكانت تصنع مصنوعات عظيمة وتُصدر صادرات وافرة ففي اواسط الجيل الرابع للميلاد يذكر يونيور (Junior) الفيلسوف اللاتيني « مدينتي طرابلس وجبيل الصناعيَّتين ومدن صيدا وصرفند وعكا الزاهرات وخصَّ من بين هذه المدن اللاذقية وجبيل وصور وبيروت بانها ترسل انسجتها الى جميع الارض وتنشر صرفند فوق ذلك ارجوانها » (٢

---

١) راجع كتاب بيرار Bérard: *Les Phéniciens et l'Odyssée*, I. 306-307; 367; 376; 409, 414, etc. Benzinger : *Hebräische Archeologie*, 253

٢) وهذا نصهُ بحرفهِ : Tripolis et Byblus, ipsæ civitates industriosæ sunt : iterum optimæ civitates Sidon, Sarepta, Ptolemaïs ... Laodicia, Byblus, Tyrus, Beritus omni mundo linteamen emittunt, Sarepta vero purpuram præstat.

ولنا في الجيل العاشر شهادة المقدسي الجغرافي العربي وبما انهُ سوريّ النشأة فتكون لشهادتهِ قوة كبرى فانهُ يعدد بين صادرات سورية المحمولة الى الخارج عن مرافئ البحر من قيصريَّة الى السويديَّة انسجة الحرير والصابون والمرايا والزجاج والابر والسُّرُج وآنية النحاس والحرُص او الأشنان والحديد والكبريت والملح والرخام (١. وفي الاعصر التابعة يصف الادريسي والدمشقي وابن بطوطة حركة الاشغال الصناعيَّة في مدن سوريَّة والسياح الغربيُّون الذين ساحوا في سوريَّة في ذلك العصر يؤدون الشهادة نفسها (٢

*

والحال هل يخطر على بال ان هذه الصناعة وفيها للمعادن حظٌّ صالح تتخذ لوازمها الاوليَّة وموادّها الضروريَّة من الخارج لا غير . اما نحن فلا نخال ذلك لان في مثل هذه الحال لا تأتي المصنوعات بارباح طائلة الى حدّ انها تُحمَل الى جميع الجهات. فالاعمال المعدنيَّة في فرنسة مع ما هي عليهِ من جودة الطرق وكمال الاساليب لا تستطيع مجاراة اشغال البلاد المجاورة لها وعلَّة ذلك انها مضطرة الى ان تستجلب من الخارج قسماً من معادنها . فنستنتج اذن ان الصناعة الفينيقية وهي اقدم الصنائع كانت تتخذ مواد اشغالها من محلها وجبال بلادها وبغير عبارة نقول انهُ يلزم التسليم بان مستودعات معادن لبنان كانت قديماً اوفر عدداً واغزر مادَّةً واكثر نوعاً مما هي اليوم . وليت شعري هل يمكن اثبات هذه النتيجة بشواهد تاريخيَّة

اما ايضاح ذلك عن الحديد فايسر شيء عندنا بل لا حاجة الى ذلك وقد اثبتنا وجودهُ في ايامنا فلهذا لا نفيض في ايراد الشهادات بل نقتصر على بعضها. على انَّ بين هذه الشهادات شهادةً هي اعظمها اهميَّة واشدّها اعتباراً تدلّ على ما كان لتجارة الحديد من الشيوع والشان في قديم الزمن . ففي الجيل السابع قبل الميلاد كانت العبارة « يا ان برت » تستعمل في اللغة المصريَّة للدلالة على الحديد (٣ ومعنى هذه الكلمة حرفيًّا « بضاعة بيروت » فيُستنتج اذن من استعمال هذه الكلمة ان شغل الحديد كان شائعاً في بيروت وانهُ كان بجوار هذه المدينة معادن يُستخرَج منها الحديد بكثرة

١) راجع في تأليفنا « احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم » وصف سورية (ص ١٥١–١٨١)

٢) راجع كتاب راي Rey: *Colonies franques*, 211 . واما عن بيروت فراجع هيد (Heyd) تاريخ تجارة المشرق . الترجمة الفرنساوية ص ٤٥٦ و٤٥٩ و٤٠٣ و٤٨٨ الخ

٣) راجع المجلة الاسيوية (Journal asiatique, 1904. I, 155 - 56)

وكما انهُ من لفظــة « بضائع باريس » سوف يستدلّ المؤرخون في المستقبل أن بضائع الزينة والتبرُّج كانت تُصنع في باريس . فهكذا قل عن الكلمة المصريَّة التي اوردناها فانها تشير الى أن وادي النيل وذلك لا اقلّ من ٨٠٠ سنة قبل المسيح أَلِف الحديد اللبناني المحمول اليهِ من مرفأ بيروت الى حدّ انَّ اهلهُ لم يميّزوا بين اللفظين اعني «الحديد» و« صناعة بيروت» . وكمثل ذلك جرى في اللغة العربية الفصحى للهندي والمشرقي فانهما اصبحا مرادفين للسيف وقد كانا في الاصل يدلان على السيوف المصنوعة في الهند وفي « مشارف » البلقاء شرقيّ بحيرة لوط . وقد كان زمام تجارة الادوات البيتيَّة وآنية الحديد والقلز والنحاس في الجيل التاسع قبل المسيح بايدي الفينيقيين في سوق مصر عينهِ (١ والمقدسي (٢ يأتي على ذكر معادن الحديد في بيروت الموجودة في عصرهِ . وبعدهُ بجيلين يقول الشريف الادريسي اثناء كلامهُ عن بيروت: « وبقربة منها جبل فيهِ معدن حديد طيّب جيد القطع يستخرج منهُ الكثير ويُحمل الى بلاد الشام (٣ » . وقال ابن بطوطة (٤ : « ان الحديد يُحمل من بيروت الى مصر » فهذه الشهادات معتبرة فانها تدلُّنا على نموّ صناعة الحديد في لبنان حتى اواخر الجيل الرابع عشر . واما ما قدَّمنا من تفاصيل نقل الحديد وحملهِ الى الخارج فيدل ليس فقط على رواجهِ في سوق مصر بل يرجّح ايضاً على ان لسلحة دمشق المشهورة كانت تُصنع من معادن لبنان كما اوردنا آنفاً

ولقد يُشتفُّ من وراء هذه الشهادات ما التحق باحراج لبنان من الضرر الجسيم بسبب تلك الصناعة التي نستطيع ان نتتبع حركتها مدة الفي سنة . فواقد السابك كانت بمثابة لجة التهمت غابات الارز العظيمة

*

على انهُ ليس بعد الحديد معدن شاع ذكرهُ بين صادرات الصناعة الفينيقية القديمة نظير النحاس . والعجب في ذلك ان هذا المعدن لم يبقَ لهُ اليوم أقلُّ اثر في لبنان كما سبق لنا ذكرهُ ففي هذا سرٌّ غامض على المؤرخين ويستلفت انظار الجيولوجيين الذين يحوّلون ابصارهم عن كل شهادة لا يجدونها مسطرةً في بطون الارض

فلنباشر بايراد شهادة التوراة اولًا : فانهُ مذكور في سفر الملوك الثاني (٨ : ٥ — ٨)

---

١) راجع كتاب مولر (W. M. Müller: *Asien und Europa*, 306)

٢) في كتابهِ السابق ذكره (ص ١٧٤) ٣) طبعة جيلدميستر ٤) I. 133,

ن داوود اخذ من ملك صوبة نحاساً كثيراً جداً . فاين محل صوبة المذكورة ؟ فمن المرجّح انها كانت قائمة في سهل البقاع وذهب بعض علماء عصرنا على انها نفس المدينة المدعوة « مات نحاسي » في كتابات تل العمارنة (١٥٠٠ قبل المسيح) ثم سماها اليونان (١ فيما بعد كاسيس . فما اغرب هذا الاتفاق فلفظة كاسيس معناها في اليوناني نحاس وفي مات نحاسي كلٌّ يرى كلمة نحاس . وعليهِ اذا صحّ ان صوبة وكاسيس ومات نحاسي ما هي الّا ثلثة اسماء لمسمّى واحد فيكون المقصود بها المحل المشهور بمعادنهِ القائم في جوار لبنان

غير ان الآراء متضاربة في تعيين موضع كاسيس فقال بعضهم انها معلقة — زحلة ورجّح غيرهم ونحن من رأيهم (٢ انها عين جار في اسفل الجبل الشرقي المقابل للبنان (٣ — فعلى كل حال ليست المسافة بين الموقعين بعيدة انما على حلّ هذا المشكل الجغرافي يتوقّف تخصيص معادن النحاس القديمة بلبنان او بالجبل الشرقي الذي يقابلهُ

ثمّ اننا نرى الكتابات المصريّة والكتابات الاشوريّة قبل التوراة تشير الى وجود كميّات عظيمة من النحاس في لبنان او في ما يجاورهُ ومنها ٨٤,٠٠٠ كيلو من النحاس اخذها رمّانيرار الثالث ملك الاشوريين من ملك دمشق فهذه الكمية الوافرة الموجودة في محلّ واحد تدلّ على انّها من صادرات المحل وليست من الخارج واننا نجد فضلاً عن ذلك في كتابة تحوتمس الثالث ذكر « نحاس اسيوي » أتى بهِ فرعون مصر من بلاد راتانو بعز وانتصار (٤ وراتانو كما هو الشائع في كتابتها الان هي الناحية التي يسقيها الليطاني وقد سبق لنا تفصيل ذلك (٥

على انّ هذا النهر ينبغي ان يُعتبر تابعاً للبنان لانهُ يجري على شواطئهِ او بر في اراضيهِ — اما العلّامة يَنسِن (Jensen) فانهُ لا يقف عند هذا الحدّ بل يزعم ان

---

١) راجع كتاب Buhl: *Geogr. des alt. Palaestina*, p. 115

٢) راجع تمريح الابصار الجزء الثاني (ص ٤٠)

٣) Pauly- Wissowa. Encyclop., *III* 2091

٤) راجع كتاب Müller: *Asien und Europa*. 126, 127

٥) راجع تمريح الابصار (ج ٢ ص ٢٢, ٢٣)

راتانو او لاتانو من اسامي لبنان نفسه او لا اقلّ من ان تدل على ناحية الليطاني (١

وفضلًا عن ذلك فالكتابات المصريّة تسمّي فينيقية عادةً باسم « ذاهي » وتجعل بين صادرات هذه البلاد ليس فقط الزيت والعسل والخمر ممّا لا يتذهل له انسان بل ايضاً النحاس والرصاص واصناف الحجارة المتنوعة الخ (٢ . وفي غير موضع تذكر آنية الحديد والنحاس كصناعة مختصة بفينيقية (٣ ومن المعلوم انها كانت تُملأ منها اسواق اشور وبابل (٤ واسواق بلاد اليونان في اوروبة واسيّة افلا يسوغ لنا بعد هذا كلهِ ان نستنتج وجود معادن النحاس في جبال فينيقية ؟ رويدك ايها القاري فلا نعجّلن باستنتاج النتائج لئلا تقع منّا عن غير تروٍّ كافٍ . ومن المحتمل انّ الفينيقيين كانوا يستخرجون النحاس من املاكهم في جزيرة قبرس او من « الاسيا » (٥ الشهيرة بمعادنها النحاسية ولعلّنا نجد موقعها على مصبّ نهر العاصي ولعلّ هذا الاسم العربي مأخوذ عن اللفظة الاشوريّة « الاسيا » كما ترى وزعم غيرهم انها قبرس استنادًا على وجود معادن النحاس فيها وعلى رأيهم أنّ منها كان يؤخذ النحاس لتشغيل معامل فينيقية . فليست المسألة اذن جليّةً كما يُظن . اما نحن فنرجّح رأيًا متوسطاً

فاننا نسلم مع كثيرٍ من العلماء الذين اوردنا شهاداتهم وغيرهم نظير كيرت (٦ وَيْسِنْ وغيرهما (٧ بوجود معادن نحاس في لبنان لكنها قليلة لذلك اضطرّ الفينيقيون ان يستجلبوا من الخارج ما كان ينقصهم في لبنان . ولهذا السبب نفسهِ نفدت هذه المعادن وفرغت بجملتها حتى لم يبقَ لها اثر على حدّ ما نراهُ في جزيرة إلبا في البحر المتوسط فمعادنها الحديديّة مع غناها الغريب الذي لا يكاد يُصدَّق تُستخرج

---

١) Zeitsch. f. Assyr. 1895, 345-346

٢) راجع مولّر (ص ١٨٣)

٣) مولّر (ص ٢٠٦)

٤) Zeitsch. für Assyriologie, 1887, p. 36, 37 ومنها هذه العبارة الواردة مرارًا في شعر هوميروس « صيدا الغنيّة بالنحاس »

٥) وكانت تسمى ايضاً اصيا Zeitsch. f. Assy. 1895, 262

٦) راجع تاليفهُ H. Kiepert: *Alte Geographie*, 167

٧) Zeitsch. für Assyr., 1895, 363, 365

منذ الفي عام (١ . والحال ان النحاس كان من اعظم صادرات هذه الجزيرة في اقدم الازمان ثمَّ باد ذكرهُ منها فيما بعد

فعليهِ إمَّا ان نعدّ الشهادات المختلفة التي اوردناها اوهاماً مختلَقة واماً ان نسلّم بوجود معادن غير الحديد في لبنان ومنها النحاس فلولا هذه المعادن لما كانت وُجدت صنائع الفينيقيين المدنيَّة ولما كانت انتشرت انتشارها الغريب

فهولندة مع ما هي عليهِ من النشاط والاستعداد الفطري للتجارة والملاحة لا تنال الفوز بشغل المعادن نظير انكلترة وذلك لخلوّها من المعادن لان نجاح الأمَّة يتوقّف على النواميس الطبيعيَّة التي مع كل قوتها تعجز عن مقاومة النفوذ الخارجي . وهذا ممَّا يزيد فضل الجغرافية التاريخيَّة فانها تُطلعنا على بعض هذه النواميس

فاذا اتقنَّا درس لبنان وطبقاتهِ الجيولوجيَّة نجد بلا محالة براهين طبيعيّـة وادلَّة ماديَّة تثبت غنى لبنان الاعظم في قديم الزمان (٢

امَّا الحجارة ولوازم البناء فاننا لا نعلم شيئاً عنهـا الَّا ان غوديا ملك بابل كان يستجلب لابنيتهِ من لبنان قبل المسيح بثلاثة الاف سنة ليس فقط اخشاب الارز بل ايضاً الرخام الابيض وغيرهُ من الحجارة . وما زالت ملوك اشور تحذو حذوهُ الى الجيل الثامن قبل الميلاد . على انهُ لم يُذكر شيء عن صنف الحجارة المنقولة مع الرخام ولا عن طبيعتها إلَّا ان ما يقتضيهِ نقلها الى البلاد البابليَّة من المشقة والنفقة لبعد المسافة يسوغ لنا ان نستنتج انهـا لم تكن من الحجارة العاديَّة بل من اصناف الرخام الجيّد وانواع الحجر الغالي الثمن . فعلى هذا يتَّضح ان لبنان كان من هذا القبيل ايضاً اغنى ممَّا هو اليوم

لكن لا بد من ابداء ملاحظة هنا كما فعلنـا اثناء كلامنا عن النحاس : ان الكتابات الاشوريَّة والبابلية البالغة حد الايجاز والمتصلة باقدم الازمـان ليست بغاية الضبط والتدقيق بنوع انهُ لا يتيسر لنا الحكم والفصل فيما اذا كان الكلام عن لبنان

(١ Elisée Reclus: *Europe Méridionale*, 432,-433

٢) ففي سنة ١٧٣٦ . يؤكد السائح كرانيه الفرنساوي وجود معادن نحاس يشوبها قليل من الفضة بين عجلتون والماقورة . . فهذه التعليمات المبهمة تدل على ان السائح نقل ما سمعهُ ولم يفحص بنفسهِ . . وإلا لكان حدَّد موضع هذه المعادن

الشرقي او الغربي وبعبارة اخرى عن لبنان الحقيقي او عن الجبل الذي يقابلهُ . فبخصوص هذه المباحثــة الثانويَّة فلتراجع التآليف التي اوردنا ذكرها في هذا الصدد . فيستطيع القارئ ان يتم ابحاثهُ الشخصيَّة ويقابل بين التعليمات التاريخيَّة التي جمعناها عن غنى لبنان المعدني في الزمن القديم (١)

مزدكيَّة امرئ القَيْس الشاعر الجاهليّ

نظر للاب لويس شيخو اليسوعيّ

يعرف القرَّاء ما لحضرة العلَّامة الاب انستاس الكرملي من التفنن في المباحث فانهُ لم يكد يدع باباً من العلوم العربيَّة الَّا طرقهُ من ادب وآثار وتاريخ ولغة وهو قد كتب في كل ذلك فصولًا رائقة اثنى عليهــا الادباء المدقّقون والعلماء المستشرقون وان لم يسلّموا لحضرتهِ بما يستنتجهُ احياناً من النتائج العموميَّة المبنيَّة على مقدّمات خاصَّة او على ادلَّة مشبوهة . ودأبنا كما يعلم الكلّ نشر المذاهب العلميَّة تاركين العهدة فيها لاصحابها

وممَّا اثبتنا لحضرتهِ آخرًا في مجلّتنا مقالة ضافية الذيل عنوانها « دين امرئ القيس الشاعر الجاهليّ » عرض فيها رأي من قال بوثنيتهِ او نصرانيتهِ فنقَّد كلا القولين ثم قطع بمزدكيَّة ذلك الشاعر مدَّعياً انَّ اخبارهُ وتاريخ جدّهِ الحارث يؤيدان مزعمــهُ ويزيلان كلّ شك في هذا الصدد

ولمَّا كان هذا الرأي جديداً لم يسبق حضرتهُ اليهِ احد من العلماء يسوغ لنــا ان نعمل فيهِ نظر الانتقاد فنلقي اليهِ بزمام الموافقة ان وجدناهُ صواباً او تنبذهُ ظهريًّا ان رأيناهُ عادلًا عن محجَّة الحقّ وليس لنا في هذا النظر غاية سوى اظهار الحق اليقين فانَّ نصرانيَّة امرئ القيس لا تشرّف كثيراً هذا الدين وهو لم يقــم بفرائضها كما انَّ مزدكيَّتهُ او وثنيتهُ لا يضرَّان بهِ مع ما نعلم من انتشار الدين المسيحيّ بين القبائل

(١) وبينما كانت هذه المقالة ممثلة للطبع وردتنا رسالة من بيروت تفيدنا اكتشاف معادن ذهب وبلاتين في لبنان حديثاً ويقول الكاتب انهُ يأتي قريباً بالبراهين على صدق قولهِ فيا ليت الخبر لا يكون مبتسراً فيغنى لبنان جذه الكنوز وهذا غاية المنا